الأسماء المتعلقة بصفة قيامه تعالى بنفسه

بعد أن ذكرنا أسماء اللَّه الحسنى المتعلّقة بصفة البَقَاءِ، ننتقل للكلام عن مجموعة الأسماء المتعلّقة بصفة قِيامِهِ بنفسه سبحانه وتعالى.

ومعنى القيام بالذات: عَدَمُ افتقاره إلى المكان، أو المَحَلّ، أي الذات التي يقوم بها، وعَدَمُ افتقاره سبحانه إلى المُخصِّص أي المُوجِد، فهو سبحانه قائِم بذاته، مُسْتَغْنٍ بذاته عمّا سِوَاهُ. ودليلها من الكتاب قولُه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾، أي الذي لا يَحتاج إلى شيء، ويحتاجُ كُلُّ شيءٍ إليه، كما جاءَ في الحديث القُدْسِيّ الذي أخرجه الإمام مُسْلِمٌ في «صحيحه»، في كتاب البر والصلة، باب (15)، الحديث (55)، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ فيما يرويه عن ربّه تباركَ وتعالى: «**يا عبادي! لو أنّ أَوَّلَكم، وآخِرَكُم، وإنْسَكُم، وجَنَّكُم كانوا على أَتْقَى قَلْبِ رجُلٍ واحِدٍ مِنكم ما زادَ ذلك في مُلْكِي شيئاً، يا عبادي! لو أَنَّ أَوَّلَكم وآخِرَكُم وإنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ، كانوا على أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ منكم، ما نَقَصَ ذلك مِن مُلْكِي شيئاً، يا عبادي! لو أن أولكم وآخِرَكم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، إلا كما ينقص المَخِيط إذا أدخل البحر**»، فسبحانه وتعالى الغني الحميد.

وهذا يدلُّ على غِناهُ المطلق وقيامه بنفسه مستغنياً عن خلقه، مُتكملاً نعوت قدسه.

ومِنَ الأسماء الحسنى المتعلقة بهذه الصفة: (الصمد، القيّوم، الغني) وسَبَق أن شرحنا معنى الصمد والقيوم، وبقي أن نعلم معنى الغني.

81 ــ الغَنِيّ

معنى الغَنِيّ

هو الذي اسْتَغْنَى عَنِ الخَلْق، فَلَيْسَت به حاجَةٌ إلَيْهم، وهُمْ إليه فُقراء

مُحتاجون، قال اللَّهُ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: 38]، وقد ورد هٰذا الاسم الكريم في ثمانية عشر موضعاً مِن القرآن الكريم، وهو مُجمَع عليه، وجاء في الحديث الشريف الجامع لأسماء اللَّهِ الحُسْنَى.

أقوال العلماء

يقول حُجّة الإسلام الإمام أبو حامِد الغزالي في كتابه «المَقصِد الأَسْنَى»: (الغَنِيّ هو الذي لا تَعَلُّقَ لهُ بِغَيْرِه، لا في ذاتِه، ولا في صفات ذاته، بل يكون مُنَزَّهاً عن العلاقَة مع الأغيار، ولا يُتَصَوَّرُ ذلكَ إلا لِلَّهِ تعالى.

فَمَنْ تَعَلَّقَ ذاته، أو صِفاتُ ذاته بأَمْرٍ خارجٍ مِن ذاته يتوقَّفُ عليه وُجودُه أو كمالُه، فهو فقيرٌ مُحتاجٌ إلى الكَسْبِ. واللَّهُ تعالى هو المغني أيضاً، ولكنّ الذي أَغْناه لا يُتَصوَّرُ أَن يَصيرَ بإغنائه غَنِياً مُطْلقاً، فإن أَقَلَّ أُمُورِهِ أنه يَحتاجُ إلى المُغنِي، فلا يكونُ غنِيّاً، بل يَسْتَغْنِي عَنْ غيْرِ اللَّهِ بأنْ يُمِدَّه بما يحتاج إليه، لا بأن يَقطعَ عنه أصلَ الحاجَةِ.

والغَنِيُّ الحقيقي: هو الذي لا حاجَة له إلى أَحَدٍ أصلاً، والذي يَحتاجُ ومَعه ما يحتاجُ إليه، فهو غنيٌّ بالمجاز، وهو غاية ما يَدْخُلُ في الإمكان في حق غير اللَّه تعالى، فأما فَقْدُ الحاجَةِ فلا، ولكن، إذا لم يَبْقَ حاجَةٌ، إلّا إلى اللَّهِ تعالى سُمِّيَ غَنِيّاً، ولو لم يَبْقَ له أَصْلُ الحاجة لما صَحَّ قولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: 38]، ولو أنه يتصور أنْ يَسْتغني عن كلّ شيءٍ سِوَى اللَّهِ ﷻ، لما صحَّ لِلَّهِ تعالى وصف المُغني).

ويقول الإمام مَجْدُ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماء اللَّه تعالى: الغنيّ، وهو الذي لا يَحتاجُ إلى أحدٍ في شَيْءٍ، وكلُّ أَحَدٍ يحتاجُ إليه، وهٰذا هو الغَنِيُّ المُطلَق، ولا يُشَارِكُ اللَّهَ تعالى فيه غيْرُه.

وفيه الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (2/ 480) و(3/ 434): «**خَيْرُ الصَدَقَةِ ما أَبْقَتْ غِنىً**»، وفي رواية الإمام البخاري في «صحيحه» (٢/ ١٣٩) و(٧/ ٨١)، والإمام مسلم في «صحيحه» في كتاب الزكاة، باب

(٣٢)، (الحديث (٩٥): «**خير الصدقة ما كان عن ظهر غِنًى، واليَدُ العُلْيا خَيْرٌ مِن اليَدِ السُفْلَى**»، أي ما فَضَل عن قُوتِ العِيال وكِفايَتِهم، فإذا أعْطَيْتها غيْرَك أَبْقَتْ بعدَها لَكَ ولهُم غِنًى، وكانت عنِ اسْتِغْناءٍ منك، ومنهم عنها. وقيل: خَيْرُ لصَدَقَةٍ ما أَغْنَيتَ به مَن أعْطَيْتَه عَنِ المَسْأَلَةِ.

ومنه الحديث الذي أخرجه الإمام أبو داود في كِتاب الصلاة من «سننه» لحديث (1469)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة من «سننه» الحديث (1337)، والإمام أحمد في «مسنده» (1/ 172): «**مَنْ لَم يَتَغَنَّ بالقرآنِ فَلَيْسَ مِنّا**»، أي لم يَسْتَغْنِ بهِ عن غيرِه. وقيل: أراد من لم يَجْهَرْ بالقراءة، وقد جاء مُفسَّراً في حديثٍ آخر: «**مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ كإِذْنِهِ لِنَبِيٍّ يَتَغَنّى بالقرآن يَجْهَرُ به**»، قيل: إن قولَه: «**يَجْهَرُ به**» تفسيرٌ لقوله: «**يَتَغَنّى به**» ومعنى قوله: «**ما أَذِنَ**» أي ما سْتَمَعَ الله لشيء كاسْتِماعِهِ لِنَبيٍّ يَتغَنّى بالقرآن، أي يَتْلُوه يَجْهَرُ به، يُقال منه: أَذِنَ بأْذَنُ أَذَناً.

أقوال المفسّرين

قال اللَّهُ تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت: 5، 6].

يقولُ تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ أي في الدارِ الآخِرَةِ، وعَمِلَ الصالحات، ورجا ما عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثوابِ الجَزيلِ، فإنَّ اللَّهَ سَيُحَقِّقُ له رَجَاءَهُ، ويُوَفِّيه عَمَلَهُ كامِلاً مُوَفراً فإنَّ ذلك كائِنٌ لا مَحالَةَ؛ لأنه سَمِيعُ الدُعَاءِ، بَصِيرٌ بكلِّ الكائنات، ولهٰذا قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾، كقوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت: 46]، أي مَنْ عَمِل صالحاً فإنما يَعودُ نَفْعُ عَمَلِهِ على نفسه، فإنَّ اللَّهَ تعالى غَنِيٌّ عن أفْعالِ العِبادِ، ولو كانوا كلُّهم على أتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ منهم ما زاد ذلك في مُلْكِهِ شيئاً، ولهٰذا قال تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾، قال الحسن البَصْري: إن الرجُلَ ليُجاهِدُ، وما ضَرَبَ يوماً مِن الدهر بسيف، ثم أخبرَ تعالى أنه مع غِناه عن الخلائِق جميعهم، ومع بِرِّه وإحسانه بهم يجازي الذين آمَنُوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء.